المغارة السحرية

جمال شاهين





حجر القمر

٥

المغارة السحرية

جمال شاهين

٢٠٢٠



زوار المدينة

دخل ثلاثة رجال أغراب المدينة ذات ليلة حالكة السواد ، وكانوا يلبسون ثيابا متشابهة ، وليست مما يرتديه ويلبسه أهل المدينة ، فلما رآهم صاحب الخان أدرك أنهم أغراب، فرحب بهم ، واعتقد أنهم من بلاد الغرب ، وبعد أن دفعوا لصاحب الخان أجرة المبيت في الخان ، سألوه عن فلاح اسمه عنان بن إبراهيم.

فقال متفكرا ومجيبا : أعرف الكثير من الفلاحين ، وينزلون هذا الخان إذا طرقوا المدينة ؛ لكن لم يمر عليّ صاحب هذا الاسم .. ما هو لقبه كنيته ؟!

قال أحدهم : لا نعلم كنيته ولا لقبه .

قال صاحب الخان مدهوشا : وكيف عرفتم اسمه ؟!

رد آخر : من أحد معارفه وأصدقائه .. التقينا برجل ، ونحن في بلاد الغرب استلف منا مالا .. ولما احتضر وحضرته الوفاة ، ذكر اسم هذه المدينة "دلالة" واسم صاحبه عنان بن إبراهيم ؛ لنأخذ حقنا منه إذا مات قبل أن يرد لنا حقنا .. ولما جئنا هذه المدينة جئنا نطلب ديننا .

قال : ما اسم هذا الرجل المدين لكم ؟! أله أهل هنا ؟!

قال ثالث : الميت اسمه خليل بن لبيب ، وهو تاجر جوال بين المدن الكبيرة .

قال صاحب الخان : لا أعرف تاجرا بهذا الاسم كذلك !

قال الأول : هو ليس من تجار هذا البلد ؛ إنما الفلاح عنان صديقه منها ، وهو الذي يورد له الثمار والحبوب ، فعنان من أهالي المدينة التي نتحدث فيها الآن .

قال صاحب الخان : حسنا ! في الصباح سأدلكم على بيت ودكان شيخ الحي ؛ لعله يرشدكم للفلاح عنان المجهول الاسم .. ولا أدري كيف سيثق بكم ويدفع لكم ؟!

تبسموا من تعقيب مالك النزل ، وقال أحدهم مؤكدا : سيدفع عندما نذكر له بعض الأشياء الخاصة بصديقه خليل .. ويتأكد بأننا نعرف خليلا كما يعرفه هو .

ساقهم في الصباح صاحب الخان إلى شيخ أحد الأحياء ، فرحب بهم الرجل ، ولما عرف مطلبهم

ساومهم على أجرة البحث عن عنان صاحب التاجر خليل .

كان شيخ الحي من وظيفته معرفة جميع أفراد الحي الذي يقطنه ، يعرف الشباب والكهول والشيوخ، ويعرف الأهالي الأصليين والأهالي الغرباء .

فبعد عشرة أيام كان أحد غلمان شيخ الحي يقودهم إلى خارج المدينة حيث المزارع والبساتين إلى أرض الفلاح عنان الذي استقبلهم بقلق وانزعاج لما علم بأنهم يبحثون عنه من شهور وأيام ..

ولما سألوه عن المغارة السحرية التي جاءوا المدينة من أجلها رفض الإفصاح عن موقعها ؛ لأنهم لم يحضروا معهم التاجر خليلا فاستغش منهم ، وتشكك في أمرهم ومقصدهم من اللقاء به .

فقال لهم بصراحة : لا يمكن أن أثق بكم بدون ذات خليل .. أخشى أن يكون قد مات وغدرتم به .

فأخبروه بموته ؛ كما قالوا لصاحب الخان . فقال مكذبا لهم : أرفض أن أصدق ذلك ! لعلكم قتلتموه أو حبستموه !

قال أحدهم نافيا قتله : لم نقتله يا عنان .

قال ثاني : جاءنا وحدثنا عن المغارة السرية الغامضة .

قال ثالث : وطلب مساعدتنا في دخلوها وفتح بابها.. ولا أحد يعلم بأمرها إلا نحن وأنت وخليل .

قال عنان : لا أستطيع مساعدتكم دون أن أتيقن من حياة شريكي .

قال : هل تذهب معنا لرؤية جثته حيث دفن ؟

قال : لابد من ذلك .. ولكن كيف أثق بكم ؟!

قال آخر : دعنا ندخل المغارة يا عنان ، ولما نر ما فيها نعود لمدينتنا وترى قبر صاحبك وجثته .

قال : أنا لا أصدق بموته إلا إذا قتلتموه وجئتم من أجل رؤية المغارة !

قال واحد منهم : كيف نقتله ونحن بحاجة إليه ؟! هو الذي أخبرنا عنها .

قال أحدهم :كيف تثق بنا أيها الإنسان ؟! كيف تريد أن تثق بنا ؟ نحلف لك بأعظم الأشياء

بأعظم المقدسات التي تعبدها ؟

قال عنان : عندما أرى خليلا بيننا أثق بكم ..أنا لا أصدق موته !

قال أحدهم : كلنا يموت، لا أحد يعلم متى سيموت ؟

رد عليهم : كلنا سيموت لا أحد مخلد فيها ..ولكننا لم نسمع بموته .. ذهبت كثيرا لمدينته خلال هذه الشهور ، لم يتحدثوا عن موته .

قال أحدهم بيأس : إذن لابد من رحيلك معنا يا عنان .

قال : لابد من ذلك ؛ لأنه لو مات كما تقولون وتزعمون لدفع إليكم بإمارة بيني وبينه.

قالوا بدهشة وحيرة : إمارة !!!

تبسم ضاحكا : نعم ، بيني وبينه علامة .. أنتم لم تقدموا تلك الإمارة .. فهو حي أو مقتول .. أنتم غدرتم به !

حينئذ لقد أدركوا أن الرجل أذكى منهم ، فهم لم يأتوا بالإمارة المتفق عليها بينه وبين خليل .

فقال أحدهم : إذن علينا أن نرحل لقبر خليل .. هل أنت جاهز ؟!

قال منتشينا بنصره عليهم وإرباكهم : لا ، لست جاهزا اليوم .. بضع ليال وأكون جاهزا .. كم تبعد بلادكم عنا ؟

قال : أكثر من مسير عشرة أيام

قال عنان : لابد من السفر أيها الناس ! عليّ أن أقبل الرحيل معكم لمعاينة قبر ورمس صاحبي خليل .. عودوا للمدينة وانتظروني بضعة أيام .

فقال أحدهم بتذلل وتمسكن : ألا يوجد لنا مأوى في هذه الأرض ؟

نظره عنان بتفكر وقال ببطء : أتقبلون العيش مع الفلاحين وأكواخهم ؟

قالوا : نقبل ..وهل هناك أحلى من العيش معهم ؟!

قال عنان : حسنا ! .. ونادى على رئيس الفلاحين وطلب منه أن يسمح لهؤلاء الضيوف الغرباء المبيت مع الفلاحين أو الرعاة .

بعد مضي يومين على وجود الرجال الثلاثة أصبح رئيس الفلاحين ولم يجد عنان ولا ضيوفه ، اختفى السيد عنان والرجال الثلاثة من المزرعة مما أثار دهشة زعيم الفلاحين والفلاحين أنفسهم .. أين ذهبوا ؟! كان عنان قلقا وخائفا من وجودهم كما فهم الزعيم سالم من تصرفاته معهم ؛ ولكنّ الرجل لم يحدثه عن مخاوفه وقلقه وعن سر هؤلاء الرجال ، ولم يفصح عن غايتهم من زيارته .. وهم كما فهم ليسوا تجارا وأهل تجارة ؛ إنما هم غرباء قدموا إليه برسالة من الشيخ خليل المعروف لهم خاصة سالم ، فهو التاجر الذي يبتاع منهم قبل أن يختفي من سنة أو أكثر .. لم يعودوا يرونه في المزرعة ، ولا في دكانه ومتجره في المدينة المجاورة لمدينتهم .. ففهم سالم القيم أنهم من طرف خليل لسيده عنان .

لما مضت أيام ثلاثة على اختفاء الفلاح عنان ذهب سالم للمدينة وقابل شقيق عنان الشيخ مراد ، وأنبأه باختفاء أخيه فجأة دون إخبارهم .. وقص عليه زيارة الغرباء الثلاثة ، فمشى مراد للمزرعة وقام بالتحقق من كلام سالم ، وفتش في أراضي المزرعة ، وسمع من الفلاحين ، ثم عاد للمدينة وذهب لرجال الشرطة ، وبلغ عن اختفاء أخيه دون سابق إنذار .. ولم تستطع الشرطة بأدواتها كشف سر اختفاء الرجل والغرباء الثلاثة ، ووصلوا لشيخ الحي الذي أرشد الغرباء لمزرعة عنان وصاحب الخان الذي بين أنهم دخلوا المدينة ليلا يبحثون عن عنان ، ويحملون له رسالة شفوية من صديق له اسمه خليل توفي في بلدهم ، وهو لا يعلم من أي بلد أتوا ، وباتوا عنده ليله واحدة ، ثم دلهم على الدلال شيخ أحد الأحياء ، والدلال أخبر بأنه بحث عن عنان الفلاح ، وأخذ أجرته وانصرفوا للمزرعة .

ذهب مراد مع بعض المزارعين إلى بلدة التاجر خليل ، والتقى ببعض أسرته ، وأخبروه أنه مفقود من سنوات ، خرج في تجارة جهة طرابلس الغرب وتونس الخضراء واختفت أخباره وما زالوا في انتظار عودته ، رجع شقيق عنان خائبا من بلدة خليل .

ولما التقى بسالم حاول أن يعرف سر العلاقة بين أخيه وخليل قبل ضياعها ، فحدثه سالم مضطرا عما يعلمه عن المغارة السرية التي كانت تشغل بال عنان وخليل مما أثار دهشة وفضول الشيخ

مراد ؛ ولكنّ سالما لم يكن يعرف الكثير من المعلومات عن المغارة السرية ؛ لأنهما كانا يتكتمان الحديث عنها أمامه وأمام الفلاحين ، ولا يعرف مكانها ، وما تحويه هذه المغارة من كنوز وأسرار ، وأن رحلة خليل لطرابلس الغرب وإفريقيا كان من أجل معرفة المزيد عن المغارة الخفية .

ولما وصل مراد لطريق غامض ومسدود عن شقيقه عنان أوصى سالم على تدبير أمور المزرعة حتى يجد جديد ، وأنه سيمر عليه بين الحين والحين لتفقد المزرعة والعمل ، ويدفع أجرة الفلاحين والخدم .

ظهر عنان بعد شهر في المزرعة فجأة ؛ كما ظهر دون سابق إنذار ، وفرح سالم والأعوان من عودته سالما ، وحضر مراد لمقابلة شقيقه عنان ، وسأله عن سبب غيابه كل هذه المدة دون أن يترك خبرا عند سالم .. وسأله عن قصة الرجال الأغراب الثلاثة .. وقصة المغارة وأسرارها مما أغضب عنان من قيم مزرعته لإفشائه سر المغارة .

فقال لأخيه : هذا صاحبي خليل سافر في تجارة للغرب ، وتعرض للأذى فأرسل لي هؤلاء الضيوف لإخباري فسافرت إليه ، واطمأننت على حياته وعافيته ، وعدت ، ولم يكن أمامي وقت لإخبار سالم وغيره .. فالسيد سالم تصرف من نفسه واجتهاده .. ولما يتعافى التاجر خليل سيأتي برفقتهم .. وأما المغارة فهي قصة لم يسمعها سالم جيدا .

قال مراد : وما هي قصتها يا أخي ؟

تمهل عنان في الإجابة وفكر قبل أن يرد قائلا : سأقول لك شأنها .. هذا صاحبي خليل وجد كهفا في مدينته في أحد جبالها .. وظن أن فيه كنزا مسحورا .. فحدثني عن ذلك فأرسلته إلى تلك البلاد باحثا عن شخص له باع في الكشف عن الكنوز .. وقبل أن يصل للسيد دينار تعرض لعصابة من اللصوص ، فأرسل ورائي فذهبت إليه فهذه قصة المغارة .

قال : هل رأيت المغارة ؟

أجاب عنان : الحق أنا لم أرها ، ولا عرفت مكانها ؛ لأن خليلا لم يدلني عليها .. هو طلب مساعدتي فحسب .. واتفقنا أن نحضر الساحر دينارا ؛ ليفتح لنا الباب المغلق ، وندخلها سوية

، ونقتسم كنزها إذا كان هنالك كنز .

كان مراد مهتما بالمغارة السحرية فقال بعد حين : وكيف عرف صاحبك بوجود الكنز ، وهو لم يدخلها ؟!

أجاب عنان ضجرا من فضول شقيقه : هو غلب على ظنه وجود الكنز .

قال : أنت الآن بانتظار مجيئه .. هل سيطول مجيئه ؟

قال : تركته معافيا ومتابعا للسفر للبحث عن دينار .

قال : ألا تشركوني معكم ؟!

هذا ما كان يتوقعه عنان ، فللكنوز مذاق خاص لدى الناس ، فقال بعد سكوت طال قليلا : لا أعتقد أن يقبل خليل .

انتظر عنان عودة الصاحب خليل ، فالأمر يحتاج إلى فطنة وصبر ، وجاء خليل البلاد وحيدا بدون الساحر الذي أمضى شهورا في البحث عنه واللقاء به ، والتقى بصديقه عنان وقال مبشرا وآملا : سيأتي الساحر دينار .. وأنت كيف نجوت من الغرباء الثلاثة ؟

قال : توجست خيفة منهم !.. ولم يطمئن قلبي لهم ..ولكنهم على معرفة بأمر المغارة .. بعد أيام من مجيئهم للحياة معي ، ولمعرفة مكان المغارة خطفوني ذات ليلة .. وخرجنا من بلادنا .. وأقسمت لهم عشرات الأيمان أنني لا أعرف مكانها .. وأنك الوحيد الذي يعرف المغارة .. وهم اعترفوا لي أنهم التقوا بك وعرفوا غايتك من الرحيل لتلك البلاد .

قال خليل متذكرا : نعم ، كنت مريضا لما التقيت بدغل اللعين ، ووثقت به وقلت له إني غريب عن هذه المدينة وأرغب بلقاء الساحر دينار ؛ ليفتح لنا مغارة الكنز .. كنت أظن الموت قريبا مني .. وأن عليه أن يأتيك مخبرا بموتي قبل لقائي بالساحر .. ولم أذكر له كلمة السر التي بيننا .. وتركني معتقدا أنني سأموت خلال أيام .. واتفق مع هذين الرجلين على الاتصال بك ظنا منهم أنك تعرف مكان الكهف ، وسيسعون على فتح المغارة المسحورة لأنفسيهم .. ولما عرفوا أنك لا تعرف موقعها تركوك ، ورجعوا إليّ .. وأنا عرفت من دغل الصديق الطماع أنهم رحلوا

إليك .. وحاولوا الاستيلاء على الكهف وما فيه .. ولا يدركون أن خطابا وصلني منك قبل وصولوهم بما فعلوا معك .. ثم أرشدوني لبيت الساحر أو مكان اختفائه .. وسرنا إليه فهم من أتباعه .. وهناك ذكرت له قصة المغارة المسحورة ووعدني باللحاق بي .

قال : هل اقتنع بوجود الكهف والباب المغلق ؟

قال خليل : تردد الرجل في البداية بتصديق وجود اسمه على باب المغارة السرية .. لكن الطمع والغرور والفضول كل هذا دفعه لتصديق حكاية المغارة .. ولاحظت أن تفاهما بينه وبين دغل ؛ فلعله هو الذي بعثه إليك ؛ ليتأكد من وجود الكهف ويرى باب المغارة واسمه المرقوم عليه .

قال عنان : وقد يكون دغل طمع بالمال وحده معتقدا أنك ميت لا محالة من المرض الذي أصابك .

أقبل الساحر دينار للمدينة وحل ضيفا عند خليل ، ولما جاء عنان بناء على رسالة من خليل .. سار بهم خليل التاجر إلى جبل الكهف المسحور ، وبعد صعود استمر لساعات وقفوا على باب الكهف السحري ، فقال الساحر بحيرة : كيف عرفت هذا المكان يا خليل ؟!

قال خليل كأنه كان مستعدا لهذا السؤال : أصدقك الحديث حدثني عنه أحد الرعاة الذين أشتري منهم الخراف والألبان ؛ كما أبتاع من صديقي عنان الخضار والثمار والأجبان والزبدة .. وطلبت من الراعي ألا يقربه ، ولا يحدث عنه أحدا ، وأعطيته ما فيه النصيب .. ثم قمت بزيارته طمعا بفتحه ومعرفة أسراره وأمواله .. فقرأت على هذه الصخرة الموجودة على الباب لا يفتح إلا على يد الساحر دينار من أهالي بلاد الغرب .. فحدثت صاحبي عنان فأرسلني للبحث عنك .. فهذه قصتي مع الغار .

صدق الساحر بكلام خليل وبدأ يعمل ، وقرأ الساحر أورادا من العلم والسحر ، فانزاحت الصخرة ببعض الجهد المبذول من الرجال .. وأشعل الساحر المصباح الذي أحضروه معهم ، واجتاز الفتحة ، وتبعه عنان وخليل .. وتقدم الرجال إلى جوف الكهف على نور المصباح .. وبعد ساعة من السير في جوف الكهف وجدوا بابا معدنيا مغلقا ، وظنوا أن غرفة الكنز وراءه

وأن رحلتهم انتهت .. وبعد معالجة أخذت وقتا فتح القفل فزلفوا منه ، ولم يجدوا حجرة ؛ بل وجدوا الكهف ممتدا أمامهم .. واستمر هذا الحال عدة ساعات ، ولا نهاية للنفق في الكهف فقال الساحر وقد أخذ منه التعب والضيق : يبدو أن الرحلة طويلة هل نستمر أم نعود ؟

بعد صمت وتظاهر بالحيرة والتردد ، قال عنان : علينا أن نتابع الأمر ما دمنا قد غامرنا وقطعنا كل هذه المسافة .. ما تقول يا تاجر خليل ؟

وافق الساحر وخليل وتابعوا المشي ؛ ربما أكثر من يوم عندما حتى وصلوا نهايته ووجدوا أنفسهم في صفحة جبل ..لم يكن هناك كنز أو غيره فظهرت الخيبة على الوجوه ، فقال الساحر دينار : أين الكنز ؟! .. أين المال ؟!..ولماذا كتب اسمي ونحت على الصخرة ؟! ..إني في استغراب أيها الناس ؟ .. أين نحن الآن ؟!

قال عنان متظاهرا بالدهشة : نحن في صفحة جبل ..وأسفل منا الوادي .. وأرى راعيا وغنما .

فهبطوا إلى أسفل الوادي ، ووجدوا راعيا فحدثوه عن أمرهم ، فأعلمهم أنهم أصبحوا قريبا من مدينة الملك شهاب ، وأنهم لا يستطيعون الخروج منها إلا من النفق أو تفتح لهم الأبواب .. فالمدينة محاطة بالأسوار وعليهم الذهاب إلى قصر السلطان ليسمح لهم بالخروج أو العودة من النفق .

وصلوا قصر السلطان ، وأعلم الأمير في المدينة بدخول أغراب من الكهف السري ، وأرسلهم إلى قصر الضيوف للراحة والطعام .. وكان لهم ذلك .

ولما مضت أيام الضيافة قادهم أحد الجند إلى قصر الأمير على أمل مقابلة الأمير أو الأميرة ، وبينما هم يجلسون في غرفة ينتظرون الإذن باللقاء دخل عليهم رجل ، فلم يكد الساحر دينار يراه حتى غاض وجهه بالصفار والخوف والدهشة ، وبعد حين يسير قال الرجل للساحر : كيف حالك هل عرفتني يا دينار ؟

فقال : لا أذكر أني رأيتك من قبل .

قال الرجل : لا تذكر ..حسنا .. أنا سأذكرك .. لقد كنت يوما في مدينة يونان عندما التقيتك..

أتعرف هذه المدينة ؟

تجاهل الساحر معرفته بتلك المدينة : سمعت بها .

ضحك الرجل وقال : سمعت بها .. أنت تعرفني ، وتعرف مدينة يونان حيث التقينا .. لا تتظاهر بالجهل والدهشة .. وقد قمت ورجالك بخطف الفتاة التي كانت معي الفتاة الجميلة التي استحسنتها وطمعت نفسك بها .. هذا يا خليل ويا عنان الرجل الذي مكر بي وسرق مني زوجتي .. أين زوجتي الآن ؟!

قال الساحر مصدوما وقد أدرك الحيلة التي وقع فيها : أتعرف هؤلاء ؟!

قال : إنهم أصدقائي وساعدوني في الانتقام منك .

قال غضبا وسخطا : لقد سخرتم مني !

قال عنان : أنت خائن مجرم .. كيف تخطف زوجته منه ؟

قال : وقعت من نفسي وهويتها .. ورفض طلاقها لأتزوج منها .

قال خليل : أين هي بحثت كل بلدك أيها الساحر ولم أجدها ؟

قال بحزن واضح : ماتت ! ماتت في يونان .. مرضت وماتت .. وأنت كيف عدت للحياة ؟

قال الرجل : من كلفتهم بموتي قبلوا المال .. دفعت لهم ورحلت كما اتفقت معهم .. وأين دفنت زوجتي ؟

قال : رفضت السفر معي إلى بلدي . قال : فقتلتها !

قال الساحر : لا ، قتلت نفسها ، رفضت أن تكون زوجة لي كما كانت زوجة لك ...وما هي إلا جارية !

صرخ الرجل : أعتقتها أيها الشيطان وتزوجتها برضاها .. لماذا لم تشترها من التاجر ؟!

لم يجيب بل سأل : ماذا أنت فاعل بي ؟

قال مجيبا : الأمير صديقنا .. ورتبوا هذه الحيلة لجلبك إلى هنا ؛ لعلمنا بجشعك وطمعك في الكنوز والمال .

قال مغلوبا على أمره : ماذا أنتم فاعلون بي ؟!

سعيد من مدينة الأمير شهاب هو تاجر ابن تاجر ، وكان يعيش في مدينة يونان كتاجر كبير ومستقر في المدينة من أكثر عشر سنوات ، وكان من أهم أعماله إرسال البضائع إلى بلاده وغيرها عن طريق البحر والبر ، وكان يستقبل ويرحب بتجارة ورجال بلده في مدينة يونان العظيمة التي هي من أكبر مدن الزمان تلك الأزمان .

فكان سعيد يتاجر بالرقيق والحرير والقماش والتوابل والجلود ، وكان سعيدا وغنيا ، وله أصدقاء وأحباب وعملاء في عدد من المدن ، منها مدينتي خليل وعنان ، وكان يستقبل تجارتهم ، ويورد لهم ، فهو تاجر كبير .

اشترى يوما جارية شابة حسناء من تجار الرقيق اسمها ليان ، وأحبها حبا جما ، وقدمها على كل حريمه إلى أن تفاجأ يوما برجل اسمه دينار يزعم أنه أحد السحرة الكبار العظام في مدينة الغرب ، وزعم هذا الساحر أن الجارية ليان فتاته ، وسرقت من بيته ، ووصلت إلى سعيد ، وله زمنا يبحث عنها حتى علم بوصولها إليه ، وأنه يريدها.

فأخبره سعيد قطعا لطمعه فيها ؛ بأنه أعتقها وتزوجها طمعا بذرية منها .. فغضب الساحر من رفض سعيد ، وأصر على عودتها إليه ، واعترفت الفتاة بأنها تعرف الساحر ؛ ولكنها لم تكن جارية له ؛ بل لصديق له ، ولما علم صديقه بهواه لجاريته خشي عليها منه فباعها سرا عن دينار ؛ لأنه كره أن يمتلكها الساحر ، وأعلمت الفتاة سيدها ببغضها له .

ثم تفاجأ سعيد بعد أيام بخطف ليان وهي في طريقها إلى حمام النساء العام والاعتداء على جاريتها ، فغضب أشد الغضب على الساحر ، وصمم على قتله واغتياله والانتقام لنفسه ، ولم يستطع معرفة بيت وسكن الساحر رغم تنكره ودخوله مدينته خفية ، ولما يئس من ذلك عاد لمدينة يونان يحلم ويأمل بالانتقام وعودة ليان إليه.

أما الساحر فلما رأى رفض الجارية وسيدها له خشي أن تضيع منه من جديد ، فرسم على سرقتها وخطفها ، وأخذها لبلاده ، وخشي أن يتبعه سعيد وأعوانه ، فقرر أن يعيش في مدينة أخرى .

استعان الساحر ببعض أصحابه في يونان على خطفها والاحتيال عليها ، ولما كانت في طريقها للحمام العام في المدينة خدعت وخطفت وفي مركب صغير رحلت لمدينة الساحل ، ودفع الساحر للخاطفين أجرتهم ، ونقلت الفتاة لبيت أحد أصدقائه في تلك المدينة حسب اتفاقه مع الرجل . ولما عرفت الفتاة خاطفها ، ورأته هددته بقتل نفسها إن لم يبتعد عنها ، فلم يهتم بتهديدها ، ولما عرف صديق دينار قصتها أشفق عليها ، ووعد بمساعدتها بالهرب والاختفاء . ولما جاء دينار لأخذها من بيت صديقه حسب الاتفاق بينهم ، لم يجد صديقه ولا الجارية ، وعلم من أهل البيت أن الرجل خرج بها إليه.

ولما التقى بصاحبه أخبره الصاحب بأنها هربت من البيت ليلا ، وتبعها فرمت نفسها في البحر وقتلت نفسها ، وغرقت في البحر ، وساقه إلى مكان الحادث ليثبت له غرقها .

فتقبل دينار الأمر في ريبة وشك ، ولم يفقه دوافع صاحبه منها ، وظن أن صاحبه عشقها وغرم بها مثل تاجر يونان ، وكما حصل معه لما رآها في بيت صديقه جندوب ، وراقب بيت صاحبه عدة شهور ، ثم اقتنع بموتها بعد هربها ، وأن صاحبه صدقه الخبر .

أما سعيد فبعد ضياع وخطف زوجته الجديدة من قبل دينار أصابه الغم والحزن حتى كان يوم والتقى بخليل التاجر ، وكشف له سبب غمه وحزنه ، فوعده خليل بالانتقام ومعرفة مصير الجارية . وكان سعيد قد حدث خليلا قديما عن النفق بين المدينتين ، فتذكره خليل لما علم أن الخاطف يتعاطى السحر والشعبذة ، ورسم حيلة لاصطياد الساحر ، واستعان بعنان وتلك الحيلة التي تحدثنا عنها في الصفحات الماضية .

ظل خليل يبحث عن دينار عن طريق أصحابه ، ومنهم دغل ، وصنع له تلك الحيلة ، وكتب على تلك الصخرة التي أغلق بها مدخل الكهف اسم الساحر دينار ، وسافر حتى التقى بدينار وحدثه عن ذلك الكهف الغامض وقد حفر اسمه على مدخل الكهف ، وكان الساحر دينار من السحرة الذين يهتمون بالكهوف والدفائن والكنوز فصدق كلام خليل بعد فشل رفيقه دغل بالوصول للكهف دون معاونة خليل .. وذلك عن طريق عنان ، ثم تبين لهما عدم معرفة عنان

بالكهف ، فوافق دينار على الرحلة لذلك الجبل والمغارة ، وهو لا يكاد أن يصدق أن اسمه منحوت على باب الكهف .

ولما أتم خليل الحيلة أخبر سعيد ، وطلب منه العودة لبلاده والتنسيق مع الأمير شهاب لاستقبال الساحر دينار ، ومضت الحيلة كما رسمها خليل وبمعاونة عنان .

وكانت المفاجأة الكبرى لدينار وسعيد ظهور الجارية ليان حية ، وبين يديها طفل ولدته من سعيد .. فقد اكتشفت أنها بعد خطفها بزمن بأنها حامل .. وكان صاحب دينار لما عرف بخطفها من زوجها تضايق من فعل صديقه دينار ، وأعطاها بعض ما يملك سوى ما معها من جواهر وعاشت في مدينة صاحب دينار حتى ولدت ، وخشيت من العودة لسيدها فيخطفها دينار ثانية ، وفرح بحياتها سعيد وحزن بظهورها دينار .

****

دخل الأمير وأعوانه والقاضي فسمعوا قصة خليل وعنان وسعيد بحضور دينار .. وأمر القاضي بحبس الساحر حتى الموت .

وغادر سعيد وزوجته وطفلها المدينة إلى مدينة يونان ، وغادر قبلهم خليل وعنان إلى بلديهم وهم سعداء بما فعلوه لصديقهم سعيد وجاريته .

ولما وصل عنان لمزرعته وجد شقيقه مرادا في استقباله ، وبعد الترحيب والعناق قال : ما أخبار الذهب والكنوز ؟!

غرق عنان بالضحك للحظات ثم أجاب أخاه : عليّ أن أعترف لك بكل الحقيقة والقصة .. نعم ، وجدنا الكنز الخفي ، وعاد سعيد لزوجته ليان ، ووقع الساحر في كيده ، وأصبح سجينا في مدينة الملك شهاب .

دينار

صبر دينار على مر السجن بضع سنين ، والأيام تنسي الناس الأحداث والأشخاص ، ونسي الحراس جريمة دينار ، فاستطاع إقناع أحد الحراس بمساعدته على الهرب بمقابل خاتم من

الجواهر . وأسرع إلى المغارة التي دخل المدينة منها ، واجتازها قبل اكتشاف أمره من قائد السجن ، ونجح باجتيازها واجتاز المدن حتى وصل لبلده بعد رحلة شاقة ، ووجد دغلا مستوليا على منزله وبيته . واعتذر له دغل ، وظن أنه هلك ؛ لأنه قابل خليلا بعد طوال غيبته فاخبره أنه مات .
ترك دغل بيت دينار معتذرا له عن الاستيلاء عليه كل فترة غيابه معتقدا أنه هلك اثناء البحث عن كنز المغارة

اخرج دينار بعض أمواله المخفية وأعاد ترميم مسكنه ، وخرج لمدينة الساحل حيث التقى بصاحبه الذي اخفى عنده ليان لما خطفها ، فقال له الرجل : قلت لك غادرت البيت ليلا أنت لم تطلب مني حبسها ، ولما عرفت بهربها تبعتها وعلمت من بعض الشهود أنها ألقت نفسها عن تلك الصخرة المرتفعة بالماء بماء البحر يا دينار !

قال: علمت أنك خنتني.

قال: أنا لم أخنك ، اجتهدت على رعايتها حتى تعود لتأخذها ؛ كما اتفقنا ؛ ولكنك أنت خدعتني ، وعلمت فيما بعد أنك خطفتها ، ولم تكن صادقا معي يا دينار ! وأنك أقحمتني في جريمة خطف ؛ وليس امتلاك جارية ، ولو علم الأمير احمد بأمري وأمرك لسفك دماءنا وخاصة أن السيد سعيد تاجر يونان صديق للأمير.

عاد دينار لبلده مفكرا بحيلة وطريقة لخطف ليان وإيذاء سعيد ، فهو يعلم عظم صدقات سعيد مع رجال وسادات المدن ؛ لأنه من أكابر التجار في مدينة يونان وهداياه لهم ، ولنسائهم لا تنتهي .
زار دغل سيده دينار فأخبره دينار بأنه راغب بخدماته وعونه في الانتقام من خصومه وخاصة التاجر سعيد ، وقبل الرجل العمل معه مقابل المال ، وكلفه دينار بمهمة السفر لليونان وجمع معلومات عن سعيد وعن الجارية ليان لخطفها من جديد . وبعد تردد وأمام اغراء المال والثروة وافق على السير إليها ومعرفة أحوال سعيد وليان وتحركاتها.

خرج دغل ورفيق له الى مدينة يونان لمراقبة سعيد وبيته لتنفيذ خطة دينار في الانتقام من سعيد فقال رفيق السفر : ألم تعرف ماذا حدث له خلال هذه السنوات وكيف نجا؟

قال: لم يكشف شيئا ؛ ولكنه مجروح ويتفوه بحقد وبغض على عدد من الأشخاص منهم سعيد صاحب مدينة يونان.

فقال رفيق السفر : ألم يحدثك رجل مدينة خليل أنه مات؟

قال: هذا ما اخبر به ، هو غادر البلد لجلب كنزا من تلك المغارة التي حاولنا معرفة مكانها هذه قصة غامضة وغريبة .. كل هذه السنوات وهو يفتح مغارة !

فقال رفيق السفر : لقد أصابه أذى كبير من خليل وعنان وسعيد ؛ بل من جندوب صاحبنا في مدينة الساحل.. وما المطلوب منها في مدينة يونان؟

قال دغل : معرفة أخبار التاجر سعيد وزوجته التي خطفها يوما ، وهربت أثناء وجودها في ضيافة جندوب.

وصل رسول إلى التاجر خليل معلنا اختفاء دينار ، ورشوته لحارس خائن ، وهربه من نفق المغارة كما تبين من خطوات البحث عنه، انزعج خليل لهذا النبأ ، وأدرك الخطر المحدق به وبعنان وسعيد فلذلك أسرع بكتابة رسالة سريعة للتاجر سعيد ومثلها لعنان ليحتاطوا لأنفسهم.

لما رجع رسوله من يونان ارتاح قليلا من تبعات هرب دينار ، وأخذ يفكر كيف سيكون انتقام وثأر دينار ؟ فهو لن يستسلم للهزيمة والمكر والكيد الذي أصابه منه .. من سيبدأ به في انتقامه ؟ كلهم في خطر ، وليان في خطر لعشقه لها ، وهي سبب نزاعه وصراعه معهم .. وهل سيستطيع سعيد حمايتها والمحافظة عليها من غدر دينار وأعوانه ؟ فكر بأن يجعلها طعما للإيقاع بدينار ؛ ولكنه خشي عليها من ضربة غادرة حاقدة .. عشرات الأسئلة تحركت في ذهنه .. هل سينتقم اللعين أم يلزم الهدوء ؟ هو رجل حقود وحذر وماكر .. هو اعتدى علينا وخطف ليان ، ثم استطعت تحريرها وإنقاذها وإعادتها لزوجها ، لم يقتل أحد منا لنقتله ، دخل السجن للإيذاء الذي أصاب سعيد وزوجته منه ، أرى أنه لابد من مراقبته والبحث عنه، قضيت شهورا حتى تمكنت من اللقاء به واغراءه بالكنز والذهب والمغارة ، بماذا سأقنعه هذه المرة ؟ وهل سيدع لديّ

روحي بين جنبي ؟ هل سيتعاون معي صاحبه جندوب في مدينة الساحل ؛ كما تعاون معي في المرة الماضية ويدلنا على بيته أم عاد لبيته القديم ؟ كيف سنتقابل ؟

وبأي صفة سألتقي به ؟ هل أخطأت المرة الماضية بالإيقاع به ؟ نحن عاقبناه لخطفه زوجة سعيد التاجر الصديق ، والزوجة اليوم عنده وقد ولدت له اكثر من ثلاثة أطفال وهما يعيشان في سعادة ووئام.. أين الخطر؟ أين سيكون المكر ؟ هل سيعمل عنان معي هذه المرة ، كما تعاون معي سابقا ؟ هل سعيد مستعد للقتال والدفاع عن نفسه؟ هل سينتقم منا اللعين ويغدر بنا؟ وكيف سيكون انتقامه وخبثه؟ عليّ الرحيل ولقاء عنان والتشاور معه قبل السفر ولقاء سعيد وليان.. هل يقبل اللعين المال والابتعاد عن هواه وغرامه بليان ؟ أين يمكن إخفاؤها حتى لا تقع في براثنه ومخالبه؟ هل أستطيع فعل شيء للنجاة والخلاص من ضرره ؟ ظننت أنني نجوت منه ، وساعدت صديقنا سعيدا وزوجته الأسيرة .

رحل خليل متخفيا إلى مدينة عنان ، ولما وصل المزرعة اخبره سالم بمرض سيده ، وهو يتعالج في المدينة ، فخاف وقلق خليل أن يكون لدينار يد في سقم عنان ، وعلم أنه لم يمرض إلا من عدة أيام هل دس له سما وكيدا ؟

فرجع للمدينة وزار عنان في بيته ؛ حيث يسكن مع أشقائه وعشيرته ،وكان في وجع شديد وحمى قوية، رحب عنان بصديقه الكهل خليل ، وقال :وصلتني رسالتك وتحذيرك.

قال: أرجو ألا يكون ما حل بك من داء من ذلك اللعين!

قال: لا أظن ذلك أيها الصديق.

قال: لماذا؟

فسر قائلا: لم أطعم شيئا ليسبب لي ذلك ، كنت بكامل صحتي بفضل الله تعالى؛ ربما البرد وقلة الطعام في الايام الأخيرة تسببت بهذا الوجع .

فقال: الحمد لله والشكر لله.

قال: ولماذا قدمت بنفسك لتحذيري؟

رد باسما قائلا: أحببت أن أتأكد من وصول الخبر إليك ، وأؤكد عليك بأن تحذر هذا الحاقد الناقم ؛ لأنني سوف أختفي وأسافر لليونان ، وأبحث عن الساحر ، وأعلم نواياه نحونا وتجاهنا ، وأخشى على ليان زوج سعيد منه ، فهو كما تعلم واقع في عشقها ، والعشق سبب هذه المشكلة ، وغرامه بتلك المرأة ، وأنا ظننت بحبسه بموت هذا الحب ، وهو ما فعل من الهرب إلا للنيل منا ومنها.

قال: معك حق أيها الصديق ! وما الذي تستطيع فعله من أجلها وأجلنا؟

قال خليل : سأتخفى وأتابع فعله؛ فإن ادركت رغبته في الانتقام سأتحصل منه قبل أن يتخلص منها.

قال: لعلك تأخرت!

قال خليل : نعم ، تأخرنا فعلا ؛ لأنهم لم يكتشفوا هربه إلا بعد شهور ، لم يفطن أحد لهربه إلا بعد حين ، وهو خرج من المغارة النفق ؛ كما دخلنا ، ولم يقابل أحدا، وأنا اعتقد أنه هرب لبلده لتأمين نفسه وحاجته للمال.

قال عنان : إذن سترحل لتلك البلدة القريبة من مدينة الساحل .

قال خليل : نعم ،وسأمر على يونان ، وألتقي بسعيد ، وأطمئن عليه وعلى زوجته ، وكنت راغبا بمرافقتك معي ؛ ولكني لم رأيت سقمك وضعفك سأذهب وحدي .

قال عنان : لا بأس اذا شفيت قد ألحق بك؛ لنرى نهاية هذه القصة.

قال خليل : على كل حال اذا أحببت المساعدة ، ورأيت قوة وعزيمة اتبعني ، وكن متنكرا ومتخفيا ، ولسوف أترك له خبرا عند سعيد ؛ لأنني سأتنقل بينها وبين الساحل وبلدة دينار

رحل خليل متنكرا إلى يونان ، ولما استقر فيها تخفى بزي رجل الشرطة والجند ، وبعد مضي يومان زار سعيدا ، وعرف سعيدا بنفسه ، فدهش الرجل وفرح بحضوره ، وطمأنه على وصول رسالته التي يخبر فيها بهروب دينار من سجنه ، واتفقا أن يلتقيان في الميناء ؛ حيث ينزل خليل في فندق أو خان قريب منه.

وكان سعيد قد اتخذ ثلاثة من الشبان لحمايته وحراسته في المحل والبيت والمتاجر في السوق .

وكان خليل لا يثق بالحراس كثيرا ، فهم أسرع بيعا لصاحبهم، بقليل من المال ينسون سيدهم وتحدث بذلك مع سعيد عندما اجتمعا في الفندق البحري.

فقال: إنني أدفع لهم بسخاء.

قال خليل : المهم لابد من الحذر ، وماذا فعلت لليان وذريتها؟

فقال: لا شيء؛ إنما منعتها من مغادرة القصر .

قال خليل : وهل قبلت بحبسها في القصر؟!

فقال: على مضض ، وبدأت النساء تتجمع عندها .

قال خليل : علينا إخفاؤها يا سعيد ! حتى نعلم نوايا وحيل دينار .. أنا سأذهب لمدينته وأنظر حاله وهل قبل بالهدوء ورضي بالهزيمة؟

فقال: أرسلت صعلوكا إلى هناك منذ تلقيت خطابك ؛ ولعله سيعود قريبا.

قال خليل : جيد ! سأنتظر عودته قبل السفر إليه ، وأسمع نتائج مهمته.

فقال: وما المطلوب منا ؟! نحن لا نستطيع إعادته للسجن ؛ كما تعلم ولولا الحيلة التي دبرتها لما نلت منه شيئا.

قال خليل : صحيح هذا ، والآن أنا عاجز أن افعل معه شيئا ، فهو هرب من سجن الأمير شهاب، ولا حق لنا في حبسه، فهذا حق شرطة تللك المدينة.

فقال: هذا ما يربك ! وما العمل ننتظر ؟حتى ترتكب حماقة.

قال خليل : عليك الحذر.. سأسعى لمعرفة خططه وأتفاهم معه اذا كان ذلك ممكنا ومقبولا

فقال: اذا الرجل يريد مالا ، فأنا مستعد لدفع المال

قال خليل : أظن أنه لا يتطّلع للمال ؛ بل يتطلع للمرأة ، والخطر محدق بها اكثر منا

فقال: إنها اليوم أم لثلاثة أطفال.

قال خليل : وزوجة يا سعيد! ومبغضة ورافضة له.

فقال: الجنون وادعاء الهوى ، أنا لما قابلتها أول وهلة صعقت بها ، وفتنت ودفعت فورا ثمنها هو لم يفعل ؛ بل ترك صاحبه يبيعها

قال خليل : هذا اذا صدق في زعمه وهواه ، لابد لك من إخفاء ليان يا سعيد!

فقال: أين سأخفيها؟

قال خليل : عليك بامتلاك بيت خفي ونقلها إليه.

فقال: أتقبل يا تراها ؟

قال خليل : عندما تعظم لها الخطر ومكر الساحر ستقبل وترضى.

فقال: أتستطيع القيام بهذا المهمة؟

قال خليل : أستطيع ؛ لكن عليك أن تبدأ أنت أولا ، ثم يكون دوري.

غادر سعيد النزل ورجع لبيته المعروف، ولما سأل عن ليان وأولاده، اخبره الخادم أن امرأة جاءت ، وتحدثت مع زوجته ليان، وخرجت معها في عربة يجرها حصانان .

فقال: خرجت في الليل على عربة لها حصانان.

فقال خادمه : نعم ، نزل سائق العربة وتحدث معها وقالت إنها ذاهبة للقاء بك .

فقال: للقاء بي أين حرس البيت؟

فقال خادمه : جاء القصر قبل مجيء العربة رجل وأخبرهم أنك تريدهم في السوق وبعده بقليل حضرت العربة

فقال سعيد : يا لها من مكيدة!

لما لملم تفاصيل الحيلة رجع لفندق خليل وأطلعه على جلية الكيد والغدر .

قال خليل : نعم، بدأ الانتقام ، علينا أن نعرف صاحب الدواب ، وعلينا أن نذهب إلى الميناء ونسأل أصحاب المراكب.. أتعرف شيخ ورئيس السفن والميناء بحكم تجارتك عن طريق البحر ؟

تنهد فقال: نعم ، كلهم يعملون معنا ؛ لكني لا أعرف منازلهم.

قال خليل : من حمالين البحر تستطيع معرفة ذلك.

خرج سعيد مغموما وصحبه خليل جهة البحر حيث يكون التحميل والتنزيل للسلع والأشياء ؛ ولكن لمدينة يونان عدة موانئ بحرية من كل الجهات .

الساحر دينار كان همه الأول والأخير أسر ليان قبل أن ينتقم من الآخرين، فأرسل دغلا ونعمان لمراقبة ليان وسعيد ، واستوعب تحركات سعيد والحرس الذين يصحبونه ويحرسون البيت ، وعادا للساحر وأخبراه بما عرفاه ، وغادر بلده ليونان ، ومعه خمسة رجال من أتباعه وأعوانه ، تابع البيت والمحل ، ووضع الخطة ، ووافق الحادث ليلة ذهاب سعيد للميناء ، وغلب على ظنه أنه سائر للسمر والمتعة عند أحد التجار أو البحَّارة ، فتحرك رجلا من أعوانه لبيت سعيد ، وطلب من البواب الحراس الخاصين بليان الذهاب للسوق للقاء السيد سعيد وصدقوا ذلك دون تردد ، ولما ابتعدوا قليلا عن البيت ، تقدمت عربة ورجل زاعما أن سعيدا أرسله لأخذ ليان وأولادها لحضور حفلة عرس ، وهذا معتاد من قبل سعيد ، وصدقت ليان ذلك ، ولبست ثيابها ، وخرجت مع صاحب العربة ، وكانت قد علمت بطلب الحرس للقاء سعيد ، فلم تستغش في الأمر ، ونسيت الحذر ، والخطر المحدق بها .

ومشت المركبة نحو أحد الموانئ والمرافئ ، ولم تفطن للمكيدة إلا عندما هجم رجال على العربة وحملوها إلى مركب بحري ، وفرقوا بينها وبين أطفالها، وساقوهم إلى بيت خاص.

استطاع سعيد وخليل الوصول إلى صاحب المركب الذي استأجره دينار وأعوانه ، وأنهم سافروا به إلى مدينة الساحل لمدة أسبوع .

فقال خليل : هذا جيد يا سعيد ! فهم يرغبون ببقائهم أحياء سأسافر وحدي إلى هناك وسيساعدنا ذلك الرجل ؛ كما فعل معنا سابقا .

استأجر خليل مركبا صغيرا لمدينة الساحل بمبلغ مغر للمراكبي، ومع الفجر كان يدخل المدينة فهي ملاصقة لمدينة يونان وربما كانت جزءا منها في يوم من الأيام ، ومع شروق الشمس كان يزور صديق دينار القديم جندوب ويكشف له الأمر، فوعده الرجل بالمساعدة اذا اتصل به

دينار ، واستطاع خليل معرفة المكان الذي سيقت إليه ليان من الحمالين والعمال في الميناء ، واتفق خليل مع صاحب دينار على إنقاذ المرأة ، فاحضر الرجل بعض رجال الشرطة الذين يعرفهم واقتحموا البيت ، وألقي القبض على دغل وأعوانه، وأقروا بخطف المرأة لحساب دينار الذي تخلف في يونان مع أولاد سعيد لمساومة سعيد على حياتهم.

وقدم خليل الشكر والمال للشرطة وصاحب دينار ، واستأجر مركبا لتنقله إلى يونان ، وفي الليل كان يدخل المدينة مسرورا لإنقاذ ليان ، وحزينا على فقد الأولاد .

وفرح سعيد بنجاتها، وأخذ يبحث عن صاحب الدابة التي حملوا عليها، وبينما سعيد وخليل يحتفلون بعودة ليان اخبره البواب برجل على الباب، فخرج إليه سعيد ؛ فإذا هو دينار ، فرحب به ، وقال دينار :كيف حالك يا سعيد ؟

فقال: بخير.. أين الأولاد يا مجرم؟

قال دينار: الأولاد في أيدي أمينة يا سعيد!

قهقهة سعيد وقال: يدك أمينة! من أين أتتها الأمانة؟

قال دينار : لم تسأل عن زوجتك حبيبتك!

فقال: ولماذا أسأل عنها؟

وقال دينار : إنها مع الأولاد.

صرخ : كذاب يا دينا ر ! زوجتي نقلتها يا مجرم للساحل.

توتر دينار وقال: أتريد أولادك؟

فقال: ماذا تريد؟

قال دينار : ألف قطعة من الذهب.

فقال: سأدفع لك على شرط أن تنسى ما بيننا.

فقال دينار : إلا الجارية ليان.

فقال: إنها زوجتي!

قال دينار: طلقها.

فقال: أم أطفالي!

قال دينار :كثير من النساء تترك أطفالها يا سعيد! أنا سأدع لك حياتك وحياة صاحبك أنا ثأري عندكم جميعا.

فقال: أنت البادي والبادي أظلم !

وقال دينار : أنت سرقتها مني.

فقال: أنا ابتعتها من النخاس ؛ ليس منك ولا من صاحبك.

وقال دينار : أحببتها!

فقال: وأنا أحببتها وأعتقتها وتزوجتها.

وقال دينار: طلقها من أجل حياة أولادك.

حينئذ ظهر خليل وخلفه ليان ، فصاح دينار استغرابا وهو يردد : خليل! ليان! كيف عدتِ!

قالت : عدت بفضل الله ،وبمساعدة هذا الشهم ـ وأشارت لخليل ـ أين خبأت أطفالي يا مجرم؟

جلس على الأرض مصدوما ، وطلب سعيد من أحد الشبان الحرس باستدعاء العسس للتحقيق ، فحاول دينار منع ذلك ، فأبى سعيد العفو، فلما حضرت الشرطة ، اعترف بمقر أطفال ليان وسعيد ، وذهبوا وحرروهم ، واقتيد دينار للسجن في مدينة يونان؛ ليعرض على العدالة والقضاة.

منشورات المكتبة الخاصة

٢٠٢٣/ ١٤٤٤

جواهر القصص

جمال شاهين

المغارة السحرية

المغارة السحرية



حجر القمر

حكاية حسن وحليمة

حمار مسحور

وحش الغابة

الدنيا الساحرة

المغارة السحرية

حفيد الهدهد

كفر الذرة